«تحديّات اللغة العربية في الجزائر في ظل الازدواجية اللّغوية وانتشار العاميّة»

«Algeria still suffers from the problem of French, bilingualism and speech at different levels»

حياة عمارة[1]

[1] جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان (الجزائر)، الإيميل:hayeteamara1968@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021-05-25 **تاريخ القبول**: 2022-06-03 **تاريخ النشر**: 2022-06-15

ملخص: مازالت الجزائر تعاني من مشكلة الفرنسية وازدواجية اللغة والخطاب على مختلف الأصعدة. فهي تعيش صراعا لغويّا تتجاذبه أطراف أربعة: اللغة العربية الفصحى، والأمازيغية، واللغة الفرنسية، والعامية. ويعدّ هذا الصراع من مخلّفات الاستعمار الفرنسي الذي عمل على محاربة اللغة العربية وتهميشها وإحلال الفرنسية مكانها، وتشجيع استعمال الأمازيغية بدلامنها، ممّا اضطرّ الجزائري إلى استعمال العامية للحفاظ على هويّته العربية الإسلامية.

إنّ ذلك المشروع الاستعماري لازال يلقي بظلاله على الواقع اللغوي في الجزائر إلى يومنا هذا، فالدارس لهذا الواقع يلحظ إهمال اللغة العربية الفصحى وزحف العامّية الّتي تسلّلت إلى المؤسّسات التعليمية والإعلامية والثقافية، إضافة إلى الفرنسية الّتي تنافسها في ميدان التعليم العلمي والتقني، وفي بعض المعاملات الإدارية، وفي الاستعمال اليومي لدى بعضٍ من الفئة المثقّفة في أوساط الشعب.

يروم هذا البحث تسليط الضوء على هذا الصراع في الحياة العامّة، وفي ميدان التعليم، والإدارة، ومن ثمّ الوقوف على أهمّ التحديات الّتي تواجه اللغة العربية في ظلّ هذه الازدواجية اللغوية وتفشي العامية.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية؛ الازدواجية اللغوية؛ العامية؛التحديات.

Abstract :

She is experiencing a linguistic conflict caused by four factors: Standard Arabic, Amazigh, French and colloquial dialect. This conflict is one of the legacies of French colonialism, which worked to combat the Arabic language, marginalize it, replace it with French and encourage the use of Tamazight instead, which forced

the Algerian to use colloquial language to preserve their Arab-Islamic identity.
This colonial project has an impact on the linguistic reality in Algeria to date the student of this reality notes the neglect of the classical Arabic language and the encroachment of slang that infiltrates educational, media and cultural institutions, in addition to the French that compete with it in the field of teaching. Scientific and technical, and in certain administrative transactions and in daily use among part of the educated class among the population.
This research aims to shed light on this conflict in public life, in the field of education and administration, then to expose the most important challenges facing the Arabic language in the light of this bilingualism and the spread of the dialect familiar .
Keywords: Arabic; Bilingualism; Colloquia; Challenges.

المؤلف المرسل: حياة عمارة، **الإيميل**: hayeteamara1968@gmail.com

1- مقدّمة

اتخذت محاولات الطعن في العربية أشكالاً ومظاهر شتى، فهي تلبس تارة ثوب الطعن في الأدب القديم وصحته، وتظهر تارة بمظهر تشجيع اللهجات المحلية لتفتيت اللغة الواحدة وتمزيق الناطقين بها، وتارة تلبس ثوب الثورة على القديم والدعوة إلى التجديد. فمن مناد بالتمرّد على الأسلوب العربي القديم، وهو لا يتمرّد في حقيقته على قِدَم الأسلوب وإنّما يتمرّد على صحة اللغة وسلامتها، ومن قائل بضيق العربية وقصر باعها عن مواكبة الحضارة, ومن مصرّح بهجر الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني، ومن داع إلى تغيير القواعد.. ومن داعٍ للاعتراف بالعامية وما فيها من أدب وفن! ويلبس كلّ ذلك ثوب الإصلاح اللغوي.

وبلغ الأمر بأحدهم أنّه لا يرى سبباً لهزيمة العرب إلا لغتهم الفصحى، أو يراها من أسباب هزيمتهم. وثان نظر إلى تخلّف العرب العلمي في عصر الذرة فأعلن أنّه لا يرى لهذا سبباً غير تمسّك العرب بلغتهم في مراحل التعليم عامة والتعليم العالي منها خاصة. وثالث لم يجد داء عند العرب أخطر من بقاء الحروف العربية في أيدي أصحابها، فدعا إلى نبذها وإحلال الحروف اللاتينية محلّها.

ودعا آخرون إلى اللهجات المحلية وتشجيع دراسة تلك اللهجات باسم البحث العلمي في علم اللغة وفقهها، كما دعوا إلى العامية ودراستها.

2- الصراع بين اللغتين العربية والفرنسية

يعود استعمال اللغة الفرنسية في الجزائر إلى العهد الاستعماري الّذي قام بفرنسة التعليم، فقد " كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا لا يعترف باللّغة العربية، ولايقيم لوجودها أيّ حساب في جميع مراحل التعليم" (المدني، 1948، صفحة 138). فهو لم يكتف بفرض اللغة الفرنسية في ميدان التعليم فحسب، بل أصدر في عام 1938م قرارا يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لا يجوز تعلّمها وتعليمها إلاّ على هذا الأساس. وكان ذلك جانبا من الحرب الصليبية الّتي شنّها رجال الاحتلال الفرنسي والمبشّرون المسيحيون وهم الطليعة الأولى للاستعمار الأوروبي في الأقطار العربية الإسلامية، على اللغة العربية والدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والثقافة العربية الإسلامية، طيلة وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

لقد كان الاستعمار والمبشّرون يعتقدون جازمين بأنّ نجاحهم في القضاء على اللغة العربية، سوف يسهّل لهم بدون شكّ القضاء على الإسلام،فاللغة العربية هي المقوّم الرئيسي للشخصية الوطنية العربية في الجزائر، ولذلك كان الصراع محتدمًا بين رجال التعليم العربي الحرّ من جهة، وبين الإدارة الاستعمارية ورجال التبشير المسيحي من جهة أخرى، طيلة قرن واثنتين وثلاثين سنة (1830– 1962).

ولم تحلّ سنة 1962- سنة الانعتاق والتخلّص من رقبة الاستعمار- إلاّ والمجتمع الجزائري بأسره يؤمن أنّ الرجوع إلى أصالته وهويّته لن يتمّ إلاّ من خلال الاستعمال الموسّع للغة العربية لاسيما وقد اعتبرها الدستور الصادر سنة 1963 اللغة الرسمية في الجزائر.وكان يفترض- بموجب القانون- أن تعمّم اللغة العربية في سائر المؤسّسات الحكومية والشعبية، لكن شيئا من هذا القبيل لم يتحقّق، وظلّت الفرنسية تسيطر على الأذهان والألسن ردحا من الزمن، وظلّت اللغة العربية تواجه ظاهرة التغريب من أبنائها بعد

أن كانت تجابه التهميش من قبل المحتلّ الغاشم، إلى أن صدر قانون التعريب سنة 1990 الّذي يفرض تعميم استعمال اللغة العربية في كافة الإدارات والتعاملات الرسمية وغير الرسمية. وكان يمكن للتعريب أن يجد طريقه الصحيح، وأن يتجسّد على أرض الواقع، خاصّة وأنّ المدرسة الابتدائية تعرّبت وأعطت نتائج جدّ إيجابية ثمّ انتقلت برامج التعريب إلى الثانوية في انتظار الوصول إلى الجامعة. لكنّ التغريبيين كانوا بالمرصاد- وكانت السلطة الفعلية إلى جانبهم- جنّدوا كل ما لديهم من طاقات لعرقلة المشروع وحجّتهم في ذلك أنّ المدرسة الأساسية(المدرسة الأساسية تهدف إلى إعادة تكوين الإنسان الجزائري وفق أسس تربطه بأصالته المتمثلة في العروبة والإسلام)تعيد المجتمع الجزائري إلى الوراء، وأنّ العروبة والإسلام يعودان به إلى عصر الانحطاط (الزبيري، 2006، صفحة 12). وفي سنة 2991 أصدر الفرانكفونيون مرسوما تشريعيا جمّد قانون التعريب ليستمرّ كذلك إلى غاية سنة 1996 بعدما أُسّس المجلس الأعلى للغة العربية لأجل تطبيقه. لكنّ القانون ما لبث أن جُمّد مرّة ثانية في تحدّ صارخ للدستور الّذي ينصّ في مادّته الثالثة على أنّ العربية هي اللغة الوطنية والرسمية للجزائر، و"فُرنس" المحيط الجزائري بحيث صارت واجهات المحلاّت تكتب بالفرنسية-إلاّ ما نذر- وبها تصدر التعاملات الإدارية، بل الأمرّ من ذلك والأخطر أنّ التّعليم الجزائري أصبح مفرنساً، وأنّ الجامعات- لاسيما ذات التخصّصات العلمية- تعتمد اعتمادا كلّيا على اللغة الفرنسية، ما يؤكّد أنّ المشروع السياسي قد فشل في كسب الرهان اللغوي، ليتحوّل هذا الأخير إلى أزمة لغوية حقيقية جعلت من التواصل اللغوي شتاتا من المفردات الّتي تجمع بين العربية، الدارجة، الفرنسية، واللهجات البربرية.

ويعتبر الكثير من الفرانكفونيين أن العربية لغة ينبغي أن يقتصر دورها على الدين والمناسبات الاجتماعية بشكل عام، وأنّها بحكم طبيعتها لن تفي باحتياجات العصر العلمية التكنولوجية، خاصّة أنّ المصطلح العلمي لا يعرف لغة معيّنة ومن ثمّ لا يهمّ مصدره. كما أنّ استخدامها في التعليم قد يؤدّي إلى منع الطلاب من إتقان لغة أجنبية ممّا يقيم بينهم وبين العلم والحضارة الحديثين حاجزاً قويّاً. زد على ذلك أن حركة التطوّر السريع للعلوم وللمعارف المصحوبة، وبطء حركة التعريب تجعل الوفاء بكلّ ما يحتاجه

الطالب والمدرّس من مصطلحات أمراً غير ميسور" (فكار، 2008). ويعود السبب في تواجد هذا الواقع اللغوي الخاص إلى أن الثنائية- عربية/فرنسية- المنجرّة عن تدمير البنية الثقافية الأصلية للمجتمع الجزائري من جرّاء الوجود الاستعماري هي أساس المشكلة اللغوية المعيشة منذ الاستقلال. إنّها سبب ظهور انقسام اجتماعي على أساس ثقافي لاسيما على مستوى النخب. فالانقسام الثقافي المتأتّي من ممارسة لغوية قائمة على ثنائية تنازعية أدّى إلى اهتزاز المرجعيات المشتركة للمجتمع... لتتحوّل إلى أداة توتّر اجتماعي وثقافي، أو إلى وسيلة منتجة لسوء الانسجام في المجتمع" (سعدي). فالمتتبّع لواقع الثقافة الجزائرية لاسيما في بعدها اللغوي يلاحظ أنّها ذات أبعاد مختلفة فهي عربية إسلامية أمازيغية... متوسطية... إفريقية... ورغم ذلك تضعف فيها أبعاد معيّنة وتقوى أخرى على مستوى الانفتاح الثقافي والتثاقف... ففي الوقت الّذي ينتظر فيه الاستفادة من جميعها نلاحظ غلبة التوجّه المتوسطي فيها والفرنسي بالخصوص، ولهذا يحتدم الصراع بين معرّبين ومفرنسين... والّذي نستشف منه الأزمة اللغوية في الجزائر (غربي، 2010)، أزمة حقيقية نابعة من مبدأ رفض الآخر أو محاولة إلغائه، وعاكسة لثنائية فشلت كل السياسات في تحقيقها هي ثنائية: اللغة والهوية الوطنية في المجتمع الجزائري.

لا تكاد تخلو حواراتنا اليومية من كلمات وعبارات فرنسية، حكم وأمثال... فقد أصبحت اللغة الفرنسية في الجزائر رائجة وبكثرة، خاصّة إذا تعلّق الأمر بالجيل الجديد من الشباب، رغم أنّ هذه الفئة لم تعايش المستعمر الفرنسي، ولم تخضع للمشاريع الّتي استهدفت طمس معالم العروبة في الجزائر، وربما يمكن إرجاع ذلك للتنشئة الّتي تلقّوها في بداية حياتهم، التنشئة باللغة الفرنسية، بحيث تعمد الكثير من العائلات الجزائرية إلى تلقين الفرنسية لأبنائها كأوّل لغة، وذلك من خلال محادثتهم باللغة الفرنسية بالإضافة إلى تسجيلهم في روضات تعلّمهم هذه اللغة بدعوى أنّ" اللغة الفرنسية هي لغة العلوم في بلادنا..." (فيروز، 2011).

وفي حوار أجرته صحفية بجريدة الفجر حول هيمنة اللغة الفرنسية في الأوساط الجزائرية أكّد أحد مدرّسي اللغة الفرنسية في مدرسة ابتدائية أنّه: "لا يجد صعوبة كبيرة في تلقين هذه اللغة للأطفال الصغار الّذين نشأوا عليها في بيوتهم، فهم يكونون سريعي الاستيعاب خاصة فيما يخصّ النطق، وهو أهمّ شيء في المراحل الأولى لتعليم اللغة، وبالتالي فبداية استعمال اللغة في المنزل تساعد بشكل فعال في تعلّمها" (فيروز، 2011). ونظرا لاهتمام الأولياء الكبير بهذه اللغة، أصبح الكثير منهم يقدم على دروس الدعم ويفرضها فرضا على أولادهم ويدفع لأجل ذلك مبالغ ضخمة، وحجّتهم في ذلك أنّ التخصّصات العلمية في الجامعة تدرّس باللغة الفرنسية، وبذلك فهم يريدون تحضيرهم تحضيرا جيّدا لمرحلة الجامعة، ولذلك فإنّ العديد من العائلات الجزائرية تفضّل اللغة الفرنسية وتسعى جاهدة لتنشئة أولاد فرنكوفونيين، لأنّ استعمال العربية أصبح يقتصر على التخصّصات ذات الصلة بالعلوم الإنسانية والأدبية فقط، وهذا ما جعل لغة الضاد تتحوّل إلى لغة الأدب فحسب. فالتحدّث بفصاحة بهذه اللغة أصبح يقتصر فقط على المثقفين المعرّبين.

والمفارقة الّتي تعيشها الجزائر أنّ لغة التعليم من الابتدائي وحتّى الثانوي هي اللغة العربية، لكن نجد أنّ لغة وسائل الإعلام الفاعلة ولغة النخبة السياسية ولغة النخبة المثقّفة هي اللغة الفرنسية، فالجزائر تكاد تكون الدولة الوحيدة في العالم الّتي توجد بها عناوين جرائد باللغة الأجنبية أكثر من عدد الجرائد باللغة الوطنية. وبعد خمسة عقود من استقلالها مازالت الجزائر تعاني من صراع خفي لكنّه حاد بين الفرانكفونيين والمعربين، وبدلا من استغلال ازدواجية لغوية يتعذّر وجودها في الكثير من الدول النامية نجد الجزائر تعاني من مشاكل كثيرة من جراء هذه الازدواجية.

3- اللغة العربية والصراع مع العامية:

يوضّح الواقع اللغوي في الجزائر

تعدّ اللّغة العامية الجزائرية "لغة الأمّيّ والمتعلّم، ولغة الفقير والغنيّ،أي أنّها لغة كلّ الفئات الاجتماعية، لأنّها تضمّ اصطلاحات لهجية مختلفة ترتبط بالموقع الجغرافي، لهذا نقول عاميّات الشمال، وعاميات الجنوب، وعاميات الغرب" (مادن، 1996، صفحة 37).

واللهجات العربية في الجزائر تتنوّع حسب ظروف كلّ منطقة، لذا يمكن تقسيمها إلى أربعة أصناف:

1) الصنف الشرقي: وهو الخاص بمنطقة الشرق القسنطيني.
2) 2-الصنف المركزي (الوسط): خاص بمناطق العاصمة والوسط الجزائري.
3) الصنف الغربي: يوجد في منطقة وهران.
4) الصنف الصحراوي: يوجد في المناطق الصحراوية.

وتعود أسباب اختلاف اللهجات الجزائرية وتعدّدها إلى مجموعة عوامل أهمها:

- اتّساع رقعة الجزائر وامتدادها، جعل استعمال لهجة واحدة أمرا مستحيلا .
- طبيعة وسياسة أنظمة الحكم الاستعمارية الّتي مرّت على الجزائر، فمن نظام استعماري إلى آخر ولكلّ وسائله، ولكنّها تشابهت في فرض سياسة العزلة وغلق الأبواب بين منطقة وأخرى.

يقول أبو القاسم سعد الله:" نظام الحكم نفسه ساعد على عزلة الناس عن بعضهم، فهو حكم أقلية غريبة عن أهل البلاد فظلت أقلية متقوقعة على نفسها، ونتيجة لذلك كانت العاصمة عاصمة فقط من حيث المركزية السياسية والسلطة. أمّا ثقافيا وحتّى تجاريا فلم تكن هي عاصمة البلاد، كان كل إقليم له عاصمته، وكانت السلطات الإدارية قد جعلت البلاد تشكل وحدات (فيدراليات) مستقلّة ولكن دون وجود حدود تجارية أو تعليمية. وهذا الوضع كله قد ساعد على بقاء اللهجات مجهولة عن بعضها البعض". (أبو القاسم، 1998، صفحة 13)

– اختلاف لهجات القبائل الفاتحة وفي هذا يقول جلبير غرانغيوم: "... هذا التنوع يغير مكانه داخل العائلات الكبرى للهجات وهران (الغربية)، الشرق (قسنطينة)، والوسط (الجزائرية) أصل هذه الاختلافات عموما للهجات الخاصة للسكان العرب الّذين جاؤوا يقيمون من مختلف أجزاء الشرق الأوسط". (غرانغيوم، 2008، صفحة 3)

أمّا عن أسباب انتشارها في وعزه علماء اللغة إلى:

1) سهولة العامية لخلوّها من الإعراب: (ندوة فكرية، 1986، صفحة 101) يقول عبدالله نديم واصفا العامية: «ليست منمّقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية... ولكنّها أحاديث تعودّنا عليها ولغة ألفنا المسامرة بها، ولا تلجئك إلى قاموس الفيروزبادي، ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا، ولا تضطرّك لترجماني عبّر لك عن موضوعها، ولا شيخ يفسّر لك معانيها» (مرتاض، 2004، صفحة 64). كما أنّها لا تخضع لقواعد النحو، والصرف، والإملاء عند كتابتها ما يجعلها سهلة الاستعمال.

2) صعوبة الفصحى: يرجع بعضهم صعوبتها إلى قواعد ها النحوية والصرفية، كما أنّ تعلّمها يتطلّب وقتا طويلا وجزءا كبيرا من عمر الإنسان، لهذا رأوا أنّه يجب علينا أن نحلّ محلّ اللّغة الفصحى العامية الّتي هي لغة البيت والأسرة ولغة المجتمع الشعبي، وهي الّتي يتعلّمها الطفل في أوّل نشأته تعلّما تلقائيا (محمد الجزائري، 2014، صفحة 14). وممّا يظهر سهولة العامّية وصعوبة الفصحى أنّ الطفل يتعلّم الأولى في مدّة أقلّ من تعلّمه للثانية. (بن محمد القعود، 1996، صفحة 42)

3) العامل التاريخي: سعى الاستعمار إلى القضاء على العربية بمختلف الوسائل، فأوجد ما أطلق عليه (اللغة العربية الكلاسيكية)، ويقصد بها اللهجة العامّية الجزائرية، إذ نشط بمعية أعوانه (من الجزائريين مزدوجي اللغة) في وضع بعض الكتب المدرسية باللهجة العامية الجزائرية الّتي هي خليط من البربرية، والعربية، والتركية والفرنسية، والمالطية... واعتبروها هي اللغة العربية الحيّة (اللغة العربية، 2007، صفحة 227). وهذه العربية عبارة عن "رطانة غريبة وخليط من اللغة لا هو عربي، ولا هو

بربري، ولافرنسي، وإنّما هو مزيج من اللغة العربية والبربرية والفرنسية، والعربية منه أقل الثلاثة مع ما هي عليه من التكسير والاختزال". (اللغة العربية، 2007، صفحة 227)

والواقع اللغوي الجزائري يوضّح أنّ درجة استعمال اللغات في الجزائر ليس متماثلا، حيث تهيمن العامّيات الجزائرية على السوق الشفويّة وتحقّق تواصلا بين المجموعات اللغوية المختلفة، أمّا العربية الفصحى والفرنسية فلا يستعملها إلاّ طبقة المثقّفين وفي أماكن محدّدة كالإدارات والمساجد والمؤسّسات التعليمية بنسب متفاوتة. إذ يتّفق مسؤول وقطاع التربية في المراحل التعليمية الثلاث، وكذا على مستوى الجامعات الجزائرية على تدني مستوى اللغة العربية بين التلاميذ والطلبة. وتشير تقارير سنوية على مستوى وزارة التعليم إلى نتائج متدنية في اللغة العربية لا سيما في المدن الكبرى حيث يتزايد الاهتمام باللغات الأجنبية، وأبرزها الفرنسية. وتظهر التقارير الصادرة عن "المفتشية العامة للبيداغوجية" التابعة لوزارة التعليم الجزائرية، أن مستوى التلاميذ في اللغة العربية "غير مرضٍ"، في حين كانت النتائج "بعيدة من الصورة التي يتوخّاها المجتمع في كل الميادين، ما يفرض تجاوز بعض الاختلالات المسجَلة بخاصة في منهجية تقديم نشاطات اللغة في المرحلة التعليمية الأولى، بخاصة في ميدان فهم المكتوب والقراءة كمرحلة أولية، من خلال اقتراح حلول لمعالجتها بغية تجاوز صعوبات تعلم الأصوات". (قدادرة، 2020)

أما عن أسباب تدني مستوى الطالب في استخدام اللغة العربية الفصحى فتذكر الدراسة أن ذلك "يرجع إلى عوامل، بينها، طغيان اللغات المحلية وتداولها على نطاق واسع في المؤسسات الرسمية، وانتشار الجهل والأمية خلال عقود ماضية ما أفرز صعوبة في فهم اللغة العربية، العولمة الثقافية للغات الأجنبية، وسائل الإعلام وما تتضمّنه من عدم مراعاة القواعد الصحيحة للغة. وهناك مَن يرى أن الأسباب الناتجة من الأسرة والمدرسة تُعدّ أحد أكثر العوامل تأثيراً، لأنّ الأسرة هي المؤسّسة الأولى التي يكتسب من خلالها الطفل اللغة الأم، لتليها المؤسسة الثانية وهي المدرسة ليقابله فارق كبير بين لغة الأسرة ولغة المدرسة".

فالطفل يبدأ حياته التعليمية الأولى باللّغة العامية الّتي تكون بمثابة القاعدة الأساسية الّتي ينطلق منها لاكتساب المعارف الحياتية المختلفة، وبعدها يتنقل إلى المدرسة، فيجد اللّغة الفصحى بكل قواعدها، والّتي لا يستخدمها في الغالب إلا في الكتابة، لذا يقع صدام بين اللغة العربية الفصيحة في الحياة التعليمية ، والعامية في الحياة العملية والواقعية، ممّا يجعله يستصعبها وينفر منها ويلجأ للعامية". (زيتوني، 2013، صفحة 2161)

ويمكننا أن نختصر الوضع اللغوي في الجزائر بقولنا "لغات متعدّدة في خطاب واحد" وهذا التعدّد أصبح يحدث ارتباكا على مستوى التعبير بدل أن يكون عامل إثراء وسلامة. والنتيجة أن أصبحت الغالبية الساحقة من الجزائريين– بمن فيهم المتعلّمون– لا يتحكّمون في أيّ لغة من اللغات، فالمعرّب لا يتقن العربية بالشكل المطلوب والمفرنس لا يجيد الفرنسية، إضافة إلى أنّ اللغتين (عربية وفرنسية) اختلطتا بالعامية (عربية وأمازيغية). (لهويمل و حسني، 2014، صفحة 115)

على أنّ ثمّة ظاهرة لا بدّ من الإشارة إليها هي أنّ اللغة الفرنسية في المجتمع الجزائري لا تقتصر على العلوم والجامعات، بل إنّ اللهجة الجزائرية أصبحت لا تخلو هي أيضا من العبارات الفرنسية المعرّبة، لدرجة أن هناك العديد من الكلمات في القاموس الجزائري فرنسية، ومع كثرة استخدامها عبر مرور الزمن، أصبحنا لا نعرف كيف نعبّر باللغة العربية، وأصبحت لهجتنا الجزائرية تعجز عن التعبير في الكثير من الأحيان.

لا مرادف لـ"الزلاميط"، "الطروطوار"، "بوطاجي"، "لوطو"، "أوطونوبيل"، "فولارا"، "فرشيطا"... في اللهجة الجزائرية، حتى أن ترجمتها للغة العربية أصبح غريبا عن لهجتنا، كذلك في تحدّثنا عن الوسائل والتكنولوجيات الحديثة لا بديل لنا عن اللغة الفرنسية، فلا أحد في الوقت الحالي يقول "الهاتف" أو "الشاحن" أو "البطارية"... فكلّ هذه العبارات وغيرها، ليست متداولة في مجتمعنا عند الجيل الحالي، على أنّ هذا الزوج من اللغة (عامية وفرنسية) يعدّ نتيجة حتمية لمشروع فرنسا الاستيطاني، فبعد الاستقلال انتشرت اللغة الفرنسية في أوساط العامة، بل أصبح البعض يتحدّث العربية الدارجة واللغة الفرنسية في نفس المواقف.

ولكن على الرغم من ذلك فإن البعض ينفي أن تكون هناك مواجهة لغوية بين العامية واللغة الفرنسية. فخوله طالب الإبراهيمي ترى أنه ليس هناك ازدواجية لغوية بين هاتين اللغتين بل يوجد أنصاف ازدواجية، لأنّه يندر الاستعمال الكلي للغة الفرنسية بين هذه الأوساط الّتي تتحدّث اللغتين، فمناهج الدراسة والسياسة اللغوية غير الواضحة جعلت القليل فقط من يملك ناصية اللغة الفرنسية.

ولكنّنا نرى أن هذا الزوج اللغوي يظهر ولو بشكل نسبي في الأوساط المتعلمة والمتخصصة، فكثيرا ما نرى البعض من السياسيين يلقي خطابا باللغة العربية الدارجة، وفي نفس الموقف أو غيره يلقي خطابا باللغة الفرنسية، ونجد بعض الأساتذة يستعمل اللغة العربية الدارجة مع طلبته خارج قاعة الدرس، في حين يستعمل اللغة الفرنسية داخلها. (Ibrahimi, 1995, p. 27)

وسواء أكانت ازدواجية أو نصف ازدواجية، فإنّها تظلّ واقعا نعيشه في يومياتنا وحواراتنا، ولا أدلّ على ذلك من تلك الكلمات الدخيلة الّتي طغت على العامية، وهي من الكثرة بحيث لا يمكن الإلمام بها، وحسبنا في ذلك أن نورد بعضها في الجدول الآتي على سبيل المثال لا الحصر:

الكلمة بالعامية	ما يقابلها بالفرنسية	أصلها في العربية
كابي	cahier	كراس أو دفتر
كارطاب	cartable	محفظة
طخوسا	trousse	مقلمة
بيرو	bureau	مكتب
جرنان	Journal	صحيفة
طابلا	table	طاولة
لاكوغ	La cour	الفناء
كولواغ	couloir	البهو
طاكسي	taxi	سيارة الأجرة
جووي	jouets	ألعاب

فوغ	four	فرن
طريكو	tricot	قميص
لاجيب	jupe	تنورة
ماشينا	Machine à laver	غسّالة
كوزينة	cuisine	مطبخ
بابور	bateau	باخرة
باطيما	bâtiment	عمارة
طخوطواغ	trottoir	رصيف
ماطش	match	مقابلة رياضية

الجدول يبرز مدى تأثّر العامية الجزائرية بالفرنسية، فتلك المصطلحات وإن كان لها مقابل باللغة العربية الفصحى، إلاّ أنّ المشهد اللغوي الجزائري يتجاهلها ويستعمل بدلا عنها ذلك المزيج- الّذي لا هو عربية ولا فرنسية-، وبالتالي فإذا تحدّثنا عن عملية التعريب في الجزائر فإنّنا لا نربطها بالفصحى فحسب، بل اللهجة أيضا تحتاج لبرنامج مماثل يخلّصها من الفرنسة.

4- خاتمة

إنّ أزمة اللغة العربية في الجزائر تدعونا إلى التفكير بجدّية في آليات عمليّة للنهوض بها لتصبح قادرة على الوفاء بحاجات أهلها بما يوافق مستحدثات الحياة الجديدة، ولن يكون ذلك إلاّ من خلال دفعها باتّجاه التحرّر من آثار عصور الانحطاط من جهة، ومن التقليد الأجنبي والعجمة الجديدة الّتي أورثنا إيّاها عصر الاستعمار والنفوذ الأجنبي من جهة أخرى. إنّ المطلوب تكوين وعي لغوي صحيح يساير وعينا الفكري والسياسي، ويساهم في الوحدة اللغوية والتحرّر اللغوي والقضاء على التجزئة والنفوذ الأجنبي في ميدان اللغة والفكر،ووعي يمكّننا من الاهتمام باللغة العربية والحرص على تنميتها وجعلها لغة علم وعمل توظّف في شتّى المجالات ويعيننا على تعميمها بحيث تكون لغة البيت والشارع والمؤسّسات بما فيها المؤسّسات الإعلامية. ولعلّ أوّل خطوة لتحقيق هذا المشروع، تكون عن طريق الاهتمام بالطفل والعمل

على إكسابه الفصحى بالفطرة من نعومة الأظافر، إذ من الثابت علميا أن قدرة الطفل اللغوية في السنوات الخمس أو الست الأولى تكون في ذروتها،لذا وجب استغلال هذه الفترة لترسيخ الملكة اللغوية كما هي الحال عند شعوب باقي لغات العالم صاحبة السبق في الإنجازات العلمية والمعرفية.

فمن الأساليب الّتي تساهم في الحفاظ على اللّغة العربية الفصحى داخل المدرسة وخارجها:

- تعليم الصغار اللّغة الفصحى في بداية مراحل حياتهم الأولى.
- تقديم برامج للأطفال باللغة العربية السليمة باعتبار هذه الفئة من المجتمع هي الفئة الأكثر قابلية للاستيعاب، وذلك بغية إعداد جيل يحبّ لغته ويحسن استعمالها. ويكون ذلك عن طريق الإعلام الهادف.
- بذل أقصى جهد ممكن لضمان أن يتحدّث أهل التخصّص بالعربية الفصحى، والاجتهاد في مهمّة تجديدها وربط مفرداتها بكلّ ما يطلّ برأسه من مستحدثات ومخترعات وابتكارات ومعارف جديدة.

-تفعيل التعاون بين أقسام اللُّغة العربيَّة في الجامعات من ناحية، وبين الجامعة والهيئات الرسمية للدولة من ناحية ثانية.

-إحياء مجمع اللغة العربية وتفعيله بحيث يصبح وسيلة لقياس جودة الأداء اللغوي في مختلف المؤسّسات التعليمية.

-نشر أطروحات المجمع اللغوي على أوسع نطاق حتى لا تبقى حبيسة الكتب والمجلات المتخصصة التي لا يسمع بها إلا الأقلّية، وعلى وسائل الإعلام أن تتلقف كلّ جديد يصدره المجمع من ألفاظ الحضارة، وتقدّمه للناس بصورة دائمة منتظمة.

ولن تتحقّق هذه الخطوات الّتي من شأنها الحفاظ على اللغة العربية والرقي بها إلاّ إذا تضافرت الجهود، وتوفّرت الإرادة السياسية، وعمل أهل الحلّ والربط على تطبيقها في أرض الواقع.

5- قائمة المراجع:

الكتب:

1) أحمد توفيق المدني. (1948). جغرافية القطر الجزائري. الجزائر: مطبعة الشريف.

2) اللغة العربية .(2007) .من محنة الكولونيانيّة إلى إشراقة الثورة التحريرية. الجزائر : المجلس الأعلى للغة العربية.

3) عبد الرحمن بن محمد القعود. (1996). الازدواج اللغوي في اللغة العربية، (ط1). السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية.

4) عبد الكريم محمد الجزائري. (2014). الثقافة ومآسي رجالها، (ط1). الجزائر: دار ومكتبة المعارف.

5) علي غربي. (2010). الثقافة الوطنية وتحديات العولمة: العولمة والهوية الثقافية. جامعة قسنطينة.

6) سعد الله أبو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

الرسائل الجامعية:

1) سهام مادن. (1996). بين الفصحى والعامية. رسالة ماجستير . الجزائر: جامعة الجزائر.

المجلات والصحف:

1. باديس لهويمل، ونور الهدى حسني. (2014). مظاهر التعدد الغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية. مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ، المجلد 5 (العدد4).

2. جلبير غرانغيوم. (2008). المواجهة باللغات. ترجمة: محمد أسليم. مجلة جائزة، مكتب التربية العربية لدول الخليج.

3. عاطف قدادرة. (17 يوليو 2020). اللغة العربية في الجزائر "تائهة" بين طغيان العامية وتغلغل لغات أجنبية. صحيفة اندبندنت .

4. عبد الجليل مرتاض. (2004). تجارب عربية في تفصيح العامية. مجلة اللغة العربية (العدد10).

5. عثمان فكار. (أكتوبر 2008). مكانة اللغات في الواقع السوسيولغوي الجزائري. مجلة دراسات نفسية وتربوية (عدد 3).

6. فيروز. (2011). عقدة الحديث باللغة الفرنسية تعقد ألسنة الجزائريين، 2011/04/05. الجزائر: جريدة الفجر .

7. محمد العربي الزبيري. (2006). نكبة التعريب في الجزائر. جريدة الشروق اليومي (العدد 6).

8. ندوة فكرية. (1986). اللغة العربية والوعي القومي. (ط2). الجزائر: مركز دراسات الوحدة العربية.

9. نصيرة زيتوني. (31 أكتوبر 2013). واقع اللغة العربية في الجزائر. مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). فلسطين (الضفة الغربية)، المجلد 27 (العدد 10).

الكتب الأجنبية:

1) Khoula Taleb Ibrahimi. (1995). Les Algériens et leur (s) langue (s) . 1er édition. Alger: Edition El Hikma.

مواقع الإنترنت:

1) إبراهيم سعدي. (د.ت). في إشكالية التواصل اللغوي: الجزائر نموذجا. المجلد1. الجزائر: الشبكة العنكبوتية: www.arabegfriends.com/vb/archive/index.php/t.48750